مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص509-529

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

السنة والشيعة بين التفاهم والتصادم في العصر البويهي خلال يوم عاشوراء – دراسة تاريخية أنثربولوجية –

Sunnis and Shiites between understanding and collision in Bohai Age during The day of Ashura – Anthropological historical study-

محمد قاوي*

جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله–الجزائر–

mohamed.gaoui@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2020/04/28 تاريخ القبول: 2020/08/25

ملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على مسألة من أهم المسائل التي يختلف حولها السنة والشيعة منذ القدم إلى وقتنا الحالي ففي حين يرى أهل السنة والجماعة بأن الأعمال التي يقوم بها الشيعة من اتخاذ يوم عاشوراء مناسبة دينية لإظهار الحزن و لطم الوجوه و البكاء والنوح على مقتل الحسين بأنها مجرد بدعة في الدين ، يرى الشيعة ذلك واجبا مقدسا يقتضيه الإيمان ولا يتم إلا من دونه.

وعلى هذا إرتأى الباحث دراسة هذا الموضوع دراسة تاريخية أنثربولوجية توصل من خلالها إلى أصل هذه الطقوس التي ظهرت زمن البويهيين أثناء حكمهم للعراق المنقسم بين السنة والشيعة و مدى تأثير هذه الطقوس في إثارة الفتن والنعرات الطائفية و تعميق الهوة بين السنة والشيعة ، واستغلال الحكام البويهيين الشيعة للاختلافات المذهبية في السيطرة على مقدرات الخلافة العباسية السنية .

الكلمات الدالة: سنة، شيعة، عاشوراء، البويهيون، العباسيون.

Abstract:

This research highlights one of the most important cases, which differs from the Sunnis and Shiites, from ancient times to the present time.

However, while Sunnis sees that thing the Shiites do as taking the day of Ashura as a religious occasion to show sadness, slap faces, and weeping at the death of Al-Hussein as a heresy in religion .Shiites see this as a sacred duty to complete the faith and it is only completed by this.

Based on this, the researcher decided to study this topic as an anthropological historical study, through which he reached the origin of these rituals that emerged

* المؤلف المرسل: محمد قاوي، الايميل: mohamed.gaoui@univ-alger2.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

during the time of the Bohais, during their rule of Iraq, divided between Sunnis and Shiites and the impact of these rituals in arousing sedition and sectarian strife and deepening the gap between Sunnis and Shiites. The Shiite Bohais exploited sectarian differences in controlling the capabilities of the Sunni Abbasid caliphate
Keywords: Sunnis; Shiites; Ashura; Bohais; Abbasid.

مقدمة:

تعتبر العلاقات بين السنة والشيعة من أعقد الموضوعات التاريخية و أكثرها شائكية ذلك أنه يجب على الباحث التجرد من كونه ينتمي إلى إحدى الطائفتين و يكتب ما يراه صوابا من دون تحيز أو ذاتية وهذا من أصعب ما يمكن أن يختبره الباحث ، و مهما يكن من أمر فقد كان يوم عاشوراء محط جدل بين أهل السنة الذين رأوه يوما مهولا خسر فيه المسلمون حفيد المصطفى الحسين بن علي رضي الله عنه في موقعة كربلاء ، فكانت خسارتهم فيه لا تعوض و ذلك بدون حزن عليه يتكرر كل عام ، أما الشيعة فقد رأوه مصيبة المصائب التي يجب أن تخلد في نفوسهم جيل بعد جيل فجعلوا منه مناسبة دينية يلطمون فيها أنفسهم ويبكون ويظهرون الحزن والندم ، وكثيرا ما حدثت التصادم بين السنة والشيعة في هذا اليوم و أدى ذلك إلى سقوط القتلى بين الفريقين ، وقد استغل هذا التصادم الديني القوى السياسية التي تمثلت في البويهيين الحكام الجدد للعراق في الفترة الممتدة من (334-945م 447هـ/1055م) ، فإلى أي مدى ساهم البويهيون في التصادم بين السنة والشيعة في يوم عاشوراء ؟ من خلال هذه الورقة البحثية نحاول تسليط الضوء على :

1 -تعريف السنة والشيعة

2 -فرق الشيعة وذكر موقعة كربلاء

3 -إستيلاء البويهيين على الخلافة العباسية

4 -استغلال البويهيين للطقوس الشيعية في عاشوراء

5 -دراسة أنثربولوجية للطقوس الشيعية في عاشوراء

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولا: السنة والشيعة

1 تعريف السنة و الشيعة :

1-1/ تعريف السنة : لغة : تعني الطريقة والسيرة (ابن منظور، ص 2124)و العادة (الجرجاني، ص 105). اصطلاحا : هي الهدي الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم و صحابته الكرام علما و اعتقادا و قولا و عملا ، وهي السنة التي يجب إتباعها ، ويحمد أهلها و يذم من خالفها ، كما تطلق السنة على سنن العبادات والاعتقادات ، كما تطلق على ما يقابل البدعة وأنه لا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنّة (القيرواني، 1980 ، ص 79). والسنّة هي كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير (مجموعة مؤلفين ، 1992 ، ص 265).

أما مصطلح أهل السنة والجماعة فقد ظهر للدلالة على من كان على طريق السلف الصالح و منهجه من التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية و الآثار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم و عن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، ليتميز عن مذاهب المبتدعة و أهل الأهواء . ولعل أهم الطوائف التي تندرج ضمن أهل السنة والجماعة هي ثلاثة طوائف : الأولى : أهل الحديث ويعتمدون أساسا على الأدلة السمعية وهي الكتاب والسنّة والإجماع و من أبرزهم المذاهب الأربعة في الإسلام (المالكي والشافعي و الحنفي والحنبلي) . الثانية : أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية ، وهم الأشاعرة أصحاب أبو الحسن الأشعري ، والماتردية أصحاب أبو منصور الماتريدي . الثالثة : وهم الصوفية ، أهل الوجدان والكشف ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية ، والكشف والإلهام في النهاية (العنجري، ص 80) .

2-1/ تعريف الشيعة :

لغة : شايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعا، إذا مالأته عليه و شيّعت الرجل على الأمر تشييعا ، إذا أعنته عليه . وفلان من شيعة فلان أي ممن يرى رأيه و الشِّيَع أي الفِرق من الناس (ابن دريد، 1986 ، ج2 ، ص 872). والشيعة أنصار الرجل و أتباعه ، وكل قوم إجتمعوا على أمر فهم شيعة . والجماعة شِيَع و أشياع ، والشيعة قوم يهوون عترة النبي صلى الله عليه وسلم ويوالونهم (الأزهري، 1964 ، ج3 ، ص 61). ويقال شايعه أي والاه ، و أصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة (الزبيدي، 1984 ، ج21 ، ص 309). أما إصطلاحا : فيعرف النوبختي الشيعة بأنها " فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه و سلم و بعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته "

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

(النوبختي، 2012 ، ص 51). وهذا التعريف يدعي بأن هناك شيعة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا غير صحيح على الإطلاق فلا سند لهذه الدعوى من الكتاب و السنة ، وشواهد التاريخ الصادقة فالله سبحانه يقول (إن الدين عند الله الإسلم) (آل عمران ، 19) لا التشيع ولا غيره ، والصحابة كانوا في عهده –صلى الله عليه و سلم – عصبة واحدة و جماعة واحدة ولاءهم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده (القفاري، ص 41).

يعرّف شيخ الشيعة المفيد بأنهم " أتباع أمير المؤمنين علي– صلوات الله عليه–على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول– صلوات الله عليه وآله – بلا فصل ، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة ، وجعله في الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء" (المفيد، 1996 ، ص 35) .

في حين قال ابن حزم في تعريف الشيعة ما يلي : " ومن وافق الشيعة في أن عليّا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم و أحقهم بالإمامة وولده فهو شيعي ، و إن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا". ويذكر الشهرستاني (ت548ه) بأن الشيعة " هم الذين شايعوا عليًّا رضي الله عنه على وجه الخصوص ، وقالوا بإمامته نصا ووصية ، إما جليّا و إما خفيّا ، و إعتقدوا أن الخلافة لا تخرج من أولاده ، و إن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيّة من عنده ، و إدّعوا بأن الإمامة ليست قضية مصلحية تناط بإختيار العامة بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ، لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله" (الشهرستاني، 1997، ج1 ، ص 169).

و يقول محمد جواد مغنية : " إن الشيعة هم الذين يعتقدون بوجوب النص من النبي على خليفته و أن محمد صلى الله عليه وسلم قد نصّ على الإمام علي " (مغنية، 2000 ، ص 14). ويذكر Tritton بأن : " إسم الشيعة يعني فريقا أو حزبا أو أتباعا ولكن عندما يستخدم بكل ما في الكلمة من معنى فإنه يشير إلى طائفة في الإسلام كونها إستقطابا لحزب علي . لقد بدأت كحزب سياسي بين العرب ، ونظر أتباع هذا الحزب إلى علي ابن عم وصهر محمد ، وسلالته زعيما و سرعان ما استقرت هذه الحركة في العراق "(Tritton, 1968 , p 72) . وقد جاء تعريف الشيعة في دائرة المعارف الإسلامية بأنه " الإسم الشامل لمجموعة كبيرة من فرق إسلامية مختلفة أشد الخلاف ترجع نشأتها جميعا إلى

القول بأن عليا رضي الله عنه هو الخليفة الشرعي بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام " (موجز دائرة المعارف الإسلامية ، 1998 ، ج20 / ص 6405) .

2 فرق الشيعة وذكر موقعة كربلاء

2–1/ فرق الشيعة : انقسمت الشيعة إلى عدة فرق لعل من أبرزها :

أ– الزيدية : يذكرهم الشهرستاني بأنهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها ، و رفضوا أن يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم ، إلا أنهم جوزوها في كل فاطمي عالم شجاع كريم (الشهرستاني، 1997 ، ج1 ، ص 179). في حين يعرفهم الشيخ المفيد بأنهم " القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين و زيد بن علي –عليهم السلام– و بإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه و هو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة و كانت بيعته على تجريد السيف للجهاد " (المفيد، 1997 ، ص 39) .

أخذ زيد بن علي يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء فاقتبس منه الإعتزال ، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، فقال : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكرلمصلحة رأوها ، وقاعدة دينية رعوها ، من تسكين نائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة (الشهرستاني، 1997 ، ج1 ، ص 180).

وقد قدر لهذه الفرقة تأسيس دولة في المغرب الأقصى هي دولة الأدارسة ، ولقيت دعوتهم قبولا في بلاد الديلم أيضا ذلك أنه ارتحل إليهم أحد دعاتهم ويدعى ناصر الأطروش وكان وقتئذ لم يتحلوا بدين الاسلام بعد فدعا الناس إلى الاسلام على مذهب زيد بن علي فدانوا بذلك ونشأوا عليه و بقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين ، وقد خالفوا بني أعمامهم الموسوية في مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعنت في الصحابة طعن الإمامية (الشهرستاني، 1997 ، ج1 ، ص 183).

ب– الشيعة الإسماعيلية : فرقة من الشيعة الإمامية ساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق ، وزعموا أن الإمام بعده إبنه إسماعيل ، وافترق هؤلاء إلى فرقتين : فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر الصادق ، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه ، وفرقة قالت بأن الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر حيث انج عفرا نصب إبنه اسماعيل للإمامة بعده فلما مات اسماعيل في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه اسماعيل للدلالة على امامة ابنه محمد بن إسماعيل السابع التام (البغدادي، 1997 ،

ص 68) ، وإنما تم دور السبعة به ، ثم ابتدئ منه بالأئمة المستورين الذي كانوا يسيرون في البلاد سرا و يظهرون الدعاة جهرا . وقالوا : لن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم ، إما ظاهر مكشوف ، و إما باطن مستور فإذا كان الإمام ظاهرا جاز أن يكون حجته مستورا ، و إذا كان الإمام مستورا فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين .ومن مذهبهم أن من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية (الشهرستاني، 1997 ، ج1 ،ص 227) .

انقسمت الإسماعيلية إلى قسمين كبيرين في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر المتوفى سنة 487هـ/ 1095م فقد كان له ولدان نزار و أحمد ، أكبرهما نزار الذي بايعه نفر من الاسماعيلية لقبوا بالنزارية وذلك لانهم يدينون بإمامة نزار ، ولكن الذي تولى الخلافة أحمد الملقب بالمستعلي ، ونسبت إليه المستعلية ، الباقية إلى اليوم والمعروفة باسم البهرة.

وكان المؤهل للخلافة بنظر بعض الإسماعيليين ولده نزار ويرون أن أباه عهد إليه بولاية العهد. وكان الحسن بن الصباح أبرز المؤيدين لهذا الأمر، بل كان صاحب دعوتهم مستندا في ذلك للحاجة إلى إمام يميز بين الحق والباطل. ولكن نزار لما فقد الخلافة ، مضى إلى الإسكندرية ، حيث بايعه واليها نصر الدين أفتكين وأهلها ، ولكن الوزير الأفضل صاحب الأمر في عاصمة الخلافة المصرية جرد حملة عليهما و قضى عليهما ، مما جعل الحسن بن الصباح يفر من مصر إلى قلعة ألموت ، وأرسل فدائييه فاحضروا ابنا لنزار ، ودعا إلى إمامته ، وهكذا تأسست الإسماعيلية النزارية (الأمين، 1986 ، ص 33).

ج– الشيعة الإثناعشرية : هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين ، قالوا : وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام ، حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة ، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا ويسلك كل واحد منهم طريقا لا يوافقه في ذلك غيره ، بل يجب أن يعين شخصا هو الرجوع إليه و ينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه (الشهرستاني، 1997 ، ج1 ، ص 190).

و كان أول من نقض هذا القول هم الشيعة الإمامية أنفسهم بحيث اختلفوا فيما بينهم ففي حين ساقت الإمامية الإسماعلية الإمامة إلى إسماعيل وولده ، ساقت الإمامية الإثناعشرية الإمامة من جعفر الصادق إلى إبنه موسى الكاظم ، وزعموا أن الإمام بعده علي بن موسى الرضا ثم محمد الجواد وبعده علي الهادي ثم

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الحسن العسكري فالمهدي المنتظر الذي هو الإمام الثاني عشر عندهم واسمه محمد بن الحسن العسكري وعلى هذا الأساس تم تلقيبهم بالإثناعشرية (البغدادي، 1997 ، ص 71).

ويزعمون بأن محمد بن الحسن العسكري دخل سردابا في دار أبيه بسر من رأى ، ولم يعد بعد ثم اختلفوا في سنه عند غيابه فقيل كانت سنه إذ ذاك أربع سنوات و قيل ثماني سنوات وكذلك اختلفوا في حكمه فقال بعضهم : إنه كان في هذا السن عالما بما يجب أن يعلمه الإمام وأن طاعته كانت واجبة ، وقال آخرون كان الحكم لعلماء المذهب (زهرة، 1991 ، ص 143). ويعتبر الشيعة الاثناعشرية أكبر فرق الشيعة عددا ، بل إن لفظ الشيعة الإمامية يطلق اليوم عليهم ، وهم على المذهب الجعفري (الأمين، 1986 ، ص 19).

2-2/ **ذكر موقعة كربلاء** :

كان عام الجماعة سنة 41 هـ نهاية الخلافة الراشدة و بداية حكم الدولة الأموية ففيه تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما للخلافة للصحابي معاوية بن أبي سفيان (ابن كثير ، ج11 ، ص 135)، وقد تبنى هذا الخليفة سياسة اتسمت بالعدل و الحلم ، و لكنه في آخر حياته أراد أن يستخلف ولده من بعده الأمر الذي رفضه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وقد كان الحسين ثائرا في وجه هذا الأمر الذي رآه ظلما للمسلمين واحتكارا للسلطة السياسية من طرف الأمويين دون باقي المسلمين ، وإلغاء مبدأ الشورى الذي تبناه الصحابة الكرام في انتخاب الخلفاء ، فناداه أهل الكوفة من العراق بالقدوم عليهم ، ووعدوه بالنصرة و المدد ، فخرج إليهم لكنهم تخلوا عنه و تركوه وحده في مواجهة العساكر الأموية التي كان على رأسها الوالي الأموي عبيد الله بن زياد ، فنشب القتال بين الفريقين و قتل الحسين رضي الله عنه مع سبعين من أهل بيته ، و كانت هذه الموقعة في العاشر من محرم سنة 61 للهجرة (الطبري، ج5 ، ص 403)، و على هذا خلد شيعة الكوفة هذا اليوم و جعلوه يوم بكاء و نواح على الحسين لأنهم تخاذلوا عن نصرته أمام الجيش الأموي ، ومن الأهمية بمكان بأن مقتل حفيد المصطفى صلى الله عليه و سلم قد هز العالم الإسلامي بأسره آنذاك ، فلم تتوقف ثورات المتعاطفين مع آل البيت في أيام الدولة الأموية ، ومن خلال هذه المعركة جاء أهم شعار للشيعة يوم عاشوراء وهو " يا لثارات الحسين "، وقد بقي هذا الشعار حتى وقتنا الحالي ، فمن خلال هذا ندرك مدى أهمية تأثر الشيعة بما أسفرت عليه هذه المعركة في نفوس الشيعة قاطبة .

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص509-529

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ثانيا: البويهيون والطقوس الشيعية في يوم عاشوراء

1 إستيلاء البويهيين على الخلافة العباسية و استغلالهم للطقوس الشيعية :

كانت الخلافة العباسية تئن قواد الجيش من الأتراك وهكذا ظلت حتى دخل البويهيون بغداد سنة 334هـ/945م بعد ان استنجد بهم الخلفاء العباسيون فكانوا كمن استجار من الرمضاء بالنار (حمدي، 1950 ، ص 25).ومع ذلك فقد فضل الخلفاء العباسيون ملوك الديلم من بني بويه على سيطرة الأتراك ، أو وقوعهم تحت براثن الخلافة الفاطمية التي كانت في أوج قوتها العسكرية آنذاك ، فلم يخفى على خلفاء بني العباس أن تواجد قوة فتية كالبويهيين الذي كانوا من الزيدية على خلاف الدولة الفاطمية التي كانت تتبنى المذهب الإسماعيلي من شأنها أن تقف مانعا دون تمدد الفاطميين نحو المشرق الإسلامي والحقيقة أن عصر النفوذ التركي كان أخف على الخلفاء من عصر بني بويه فقد اتبع البويهيون في بداية حكمهم سياسة التنكيل والاستخفاف بالخلفاء العباسيين و قد عبر ابن الأثير عن حال الخلافة العباسية في عهد البويهيين بقوله :" ازداد أمر الخلافة إدبارا ولم يبق لهم من الأمر شيء البتة وقد كانوا يراجعون ويأخذون أمرهم فيما يفعل و الحرمة قائمة بعض الشيء فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير ، إنما كان له كاتب يدير اخراجاته لا غير ... وكان من اعظم الأسباب في ذلك أن الديلم كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع ، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها ، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة" (الأثير، 2003 ، ج7 ، ص 208)، ويصف ابن خلدون الخلافة العباسية في العصر البويهي بالعليلة فيقول : " وكانت الخلافة قد طرقها الإعلال وغلب عليها الموالي والصنائع " (خلدون، 2000 ، ج4 ، ص 571).

وقد بالغ معز الدين البويهي 334-356هـ /945م-967م في الإستهزاء بالخليفة المستكفي عند خلعه فيذكر صاحب الفخري " أن معز الدولة ركب يوما إلى دار الخلافة وسلم على المستكفي وقبل الأرض بين يديه ... ثم تقدم إلى المستكفي رجلان من الديلم بمواطأة معز الدولة فمدا أيديهما نحوه فظن المستكفي أنهما يريدان تقبيل يده ، فمد يده فجذباه و نكساه من السرير ووضعا عمامته في عنقه وسحباه ... ودخل الديلم إلى حرم الخليفة وحمل المستكفي إلى دار معز الدولة ، فاعتقل بها ، وخلع من الخلافة و نهبت داره ، وسملت عيناه " (طباطبا، ص 287).

بل لقد وصل معز الدولة البويهي إلى حد التفكير في اسقاط الخلافة العباسية كليا و إسناد الخلافة إلى أحد العلويين إلا أن أصحابه أثنوه عن ذلك قائلين له : "ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت و أصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوا .." (الأثير، 2003 ، ج7 ، ص 208) فأعرض عن ذلك في استغلال صارخ للنعرات الطائفية بين السنة والشيعة لمصلحة البويهيين السياسية . وبهذا فقد انهارت أحوال الخلفاء الإقتصادية وانحدرت من سيء إلى أسوأ وقد عبر مسكويه عن هذا الوضع في رد الخليفة المطيع على بختيار عز الدولة 356-367هـ حينما طالبه بالمال بحجة الغزو بأن قال : " الغزو يلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وإلي تدبير الأموال والرجال ، وأما الآن وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفائي وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف ، فما يلزمني غزو و لا حج ولا شيء مما ينظر الأئمة فيه ، وإنما لكم مني هذا الإسم الذي يخطب به على منابركم تسكنون به رعاياكم فإن أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضا وتركت لكم الأمر كله (مسكويه، 2003 ، ج5 ، ص 392). ومع هذا فقد باع الخليفة المطيع ثيابه و أنقاض داره من ساج و رصاص وجمع من ذلك أربعمائة درهم و بعث بها إليه (المحاسن، 1963 ، ج4 ، ص 66).

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن العلاقات بين الخلفاء العباسيين و السلاطين البويهيين لم تكن كلها علاقة تصادم و اختلاف بل كانت أيضا علاقة تقارب و إئتلاف فاتتسمت بالتقدير و الولاء البويهي للخليفة العباسي فنجد البويهيين يعاملون الخلفاء العباسيين معاملة حسنة ولعل ذلك يتجلى في السلطان البويهي فناخسرو المعروف بلقب عضد الدولة، الذي زوج ابنته للخليفة العباسي الطائع (363-381هـ/974-991م) ولا يخفى للناظر أن الزواج كان زواجا سياسيا سعى من خلاله عضد الدولة إلى اكتساب حق للأسرة البويهية في الخلافة عبر ذرية الطائع (الشنقيطي، 2016 ، ص 109). فيروي ابن الأثير" وكان غرض الطائع عضد الدولة أن تلد ابنته ولدا ذكرا فيجعله ولي عهده فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب " (الأثير، 2003 ، ج7 ، ص390). ومن ثم فليس من الغريب أن عضد الدولة قد همّ بغزو مصر عاصمة الفاطميين الشيعة قصد إلحاقها بالخلافة العباسية السنية إلا أن المنية حالت دون قيام حملته المنشودة فيروي البغدادي عنه " وكان أبو شجاع فنا خسرو بن بويه قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من أيدي الباطنية ، وكتب على أعلامه بالسواد : (بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله رب العالمين

، وصلى الله على محمد خاتم النبيين الطائع لله أمير المؤمنين ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) (البغدادي، ص 254). وبوفاة عضد الدولة انتهت العلاقة الحسنة بين الخليفة العباسي و السلطان البويهي فكان أول عمل قام السلطان البويهي الجديد بهاء الدولة هو خلعه للخليفة الطائع و القبض عليه بعد أن دبّر مؤامرة ظن الخليفة أنها النهاية وأنه الموت الذي لابد منه فأخذ يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون فقد جذبه بعض المتآمرين بحمائل سيفه وتكاثروا عليه ولفوه طي كساء وحملوه إلى دار الملك وحبسوه فيها كما نهبوا دار الخلافة (سلام، 2008 ، ص 33).

وتولى بعده الخليفة القادر عام 381هـ/991م وكان هذا بعد نصف قرن تقريبا من سيطرة البويهيين الشيعة على الخلافة العباسية في بغداد التي دخلوها حاملين روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم في المذهب ، ومن ثم فقد أسرفوا في الإهانة بهم و خلعهم و قتل بعضهم مما أضعف سلطة الدولة وقضى على هيبتها ، كما حاولوا نشر المبادئ الشيعية في بغداد فجوبهوا برد فعل عنيف تمثل في كثرة الفتن بين السنة والشيعة فعم القلق والاضطراب ، وتكررت ثورات الجند من الأتراك والديلم ، وقاموا بأعمال السلب والنهب ، وتستروا على اللصوص ولم يستطع البويهيون السيطرة عليهم والدولة في عنفوان شبابها ، فإذا أضفنا إلى ذلك كله تفكك البيت البويهي ، وصراع أفراده على النفوذ والسلطان بعد دخولهم بغداد بثلاثين عاما فقط تتضح الظروف السيئة التي تولى في ظلها القادر وغيره من الخلفاء العباسيين ، هذه الظروف التي تمثلت في استهانة البويهيين بالخلفاء استهانة لا حد لها ، وفي الضعف والوهن الذي أصاب البويهيين فازدادت أحوال الرعية سوءا ، وفي الفتن والمجاعات و الأوبئة التي كانت تحصد الناس حصدا ، وفي تزايد نفوذ اللصوص وقطاع الطرق حتى أثاروا الرعب و الفزع ، وسلبوا الناس أمنهم و سلامتهم (بدوي، 1988 ،ص61).

أدى تعصب البويهيين للتشيع أن أجبروا أهل السنة على الإحتفال بأعياد الشيعة (الأثير، 2003 ، ج7 ، ص267) ، ومن ثم فقد كانت تلك السياسة الطائفية التي مارسها البويهيون سببا في قيام كثير من الفتن ببغداد ففي سنة 349هـ قامت الفتنة بين أهل السنة والشيعة وتعطلت على اثرها صلاة الجمعة لمساجد أهل السنة ، ولم تقم الجمعة إلا في مسجد بارثا الشيعي (المحاسن، 1963 ، ج3 ،ص 323). كما أمر معز الدولة سنة 351هـ بلعن الصحابة وكتابة هذا اللعن على المساجد إلا أن أهل السنة قاموا بمحو هذه الكتابة ليلا (العماد، 1989 ، ج4 ، ص 268).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومن مظاهر الاحتفال بيوم عاشوراء خلال العصر البويهي أنه في العاشر من محرم من سنة 352 هـ أمر معز الدولة بأن يحتفل الناس بيوم عاشوراء وهو أكبر عيد عند الشيعة حيث يغلق الناس حوانيتهم و يكثر العويل والبكاء و تخرج النساء كاشفات الشعور ، مسودات الوجوه وقد شققن ثيابهن و يلطمن خدودهم حزنا على ذكرى مقتل الحسين بن علي يوم كربلاء ففعل الناس ذلك ، ولم يكن لأهل السنة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم (الوردي، 1996 ، ج1 ، ص 280) .

ولم يكتفي المعز البويهي بهذا الحد بل أمر في الثامن عشر ذي الحجة من نفس السنة بإظهار الزينة ببغداد ، وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد ، وأن تضرب الدبادب والبوقات ، وأن تشعل النيران بأبواب الأمراء وعند الشرطة فرحا بعيد الغدير – غدير خم –ويعلق ابن كثير على ذلك بقوله: " فكان وقتا عجيبا و يوما مشهودا و بدعة ظاهرة منكرة" (كثير، 1998 ، ج15 ، ص 261).

وقد أدى هذا إلى توتر العلاقات بين السنة والشيعة خلال الاحتفالات بيوم عاشوراء وزادت من حدتها ، فبعد أن قرر معز الدين البويهي تخصيص يوم عاشوراء يوما رسميا للاحتفال لم يطل صبر السنة على ذلك كثيرا فبعد عام واحد فقط من صدور هذا القرار و في سنة 353هـ عمل في عاشوراء مثلما عمل في السنة التي سبقتها من تعطيل الأسواق وإقامة النوح ، فلما أضحى النهار وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين السنة والشيعة و نهب الناس بعضهم بعضا ووقع بينهم الكثير من الجرحى وعم الإضطراب ، لهذا كان يصدر الأمر في بعض الأحيان بمنع الشيعة من النوح وعمل المآتم مخافة للفتن (الجوزي، 1992 ، ج14 ، ص 155). كل هذه السياسات الطائفية التي انتهجها البويهون خلال حجرهم على الخلفاء العباسيين أثارت حفيظة أهل السنة في العراق فلم تنقطع ثوراتهم فقد قام أهل السنة سنة 362هـ بمهاجمة أحياء أهل الشيعة وحرقها فيذكر ابن الأثير ما تعرض له أهل الكرخ و هو أكثر أحياء بغداد يسكنه الشيعة بقوله : " احترق الكرخ حريقا عظيما وسبب ذلك أن صاحب المعونة قتل عاميا فثار به العامة و الأتراك ، فأخرج منها مسحوبا و قتل و أحرق ، وفتحت السجون فاخرج من فيها ، فركب الوزير لأخذ الجناة وأرسل حاجبا له يسمى صافيا في جمع لقتال العامة بالكرخ وكان شديد العصبية للسنية فألقى النار في عدة أماكن من الكرخ فاحترق حريقا عظيما وكان عدد من احترق سبعة عشر ألف إنسان و ثلاثمائة دكان وكثير من الدور وثلاثة و ثلاثين مسجدا ومن الأموال مالا يحصى " (الأثير، 2003 ، ج7 ، ص 336) كما عمت الفوضى في العراق في أواخر عهد الخليفة المطيع (عبده، 2008 ، ص 62) فلم تكن

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص509-529

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الفتن تحصل ببغداد فقط بل تعدى ذلك إلى كل من الكوفة والبصرة و واسط وإن كانت بشكل أقل مما كانت عليه ببغداد .

ويصف مسكويه عصر البويهيين فيقول " سقطت الهيبة و انبسطت العامة وأغار بعضها على بعض ، و ظهرت الأهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل حتى كان يعدم في كل يوم قتلى لا يعرف قاتلوهم ، وإن عرفوا لا يتمكن منهم ، فانقطعت موارد الأموال وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة ، وظهر في كل قرية رئيس منها مسؤول عليها وتباغوا بينهم ، وحصل السلطان صفر اليدين ، والرعية هالكون والدور خراب والأقوات معدومة ، والجند متهارجون" (مسكويه، 2003 ، ج5 ، ص395). و زيادة على ترسيم الأعياد الشيعية من طرف البويهيين فقد شجعوا كل عقيدة فاسدة بحجة حبهم لآل البيت فيذكر السيوطي أنه " ظهر في سنة 341هـ قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه ، وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها ، وآخر يدعي أنه جبريل ، فضربوا ، فتعززوا بالانتماء إلى أهل البيت ، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت ، فكان هذا من أفعاله الملعونة (السيوطي، 2003 ، ص 316). وعلى هذا الأساس فقد أدت سياسة البويهيين الطائفية إلى بروز فتن عظيمة بين السنة والشيعة ، والتي كانت ميزان القوة يميل ناحية الشيعة الذين كانوا مدعومين من طرف سلاطين بني بويه ، كما تجدر الإشارة إلى أنه في بغداد نفسها كانت الفتن تنشب غالبا بين حيين كبيرين حي الكرخ الذي كان يمثل غالبية شيعية وبين حي باب البصرة الذي كان يمثل غالبية سنية ، و يورد ابن الجوزي هذه الفتن في كل سنة تقريبا خلال العصر البويهي . ويعزو الشنقيطي ذلك إلى تأرجح ميزان القوى الطائفي بين الشيعة والسنة خلال العصر البويهي ، وعدم رجحانه لصالح طائفة معينة مما أدى إلى إندلا ع مواجهات دائمة بين الطرفين في بغداد (الشنقيطي، 2016 ، ص 109).

وقد تحول البويهون بعد سيطرتهم على العراق عن مذهبهم الزيدي و تبنوا المذهب الإمامي تماشيا مع التشيع الإمامي العراقي (الشنقيطي، 2016 ، ص 110) ، ولا يعرف الوقت التي تم فيه ذلك إلا أنها قد تكون من المرجح بعد سنة 351هـ التي أمر فيها المعز البويهي بالكتابة على مساجد بغداد ما أورده ابن الأثير قائلا : " في هذه السنة كتب عامة الشيعة ببغداد ، بأمر معز الدولة على المساجد ما هذه صورته ، لعن الله معاوية بن أبي سفيان ، ولعن من غصب فاطمة رضي الله عنها فدكا ، ومن منع أن يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام . ومن نفى أبا ذر الغفاري ، ومن أخرج العباس من الشورى ... فلما كان

الليل حكه بعض الناس ، فأراد معز الدولة إعادته ، فأشار عليه الوزير أبو محمد المهلبي ، بأن يكتب مكان ما محي ، لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يذكر أحدا في اللعن إلا معاوية ففعل ذلك " (الأثير، 2003 ، ج7 ، ص275) ، وتعتبر هذه الرواية خروجا واضحا من طرف معز الدولة البويهي عن القاعدة الأساسية التي يتبناها الشيعة الزيدية القائلة بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل . وبذلك وجد البويهيون وسيلة لاكتساب تأييد الشيعة العرب كعصبية لهم في بغداد والعراق، فقاموا بالإعلان عن تنظيم الاحتفالات بمناسبتي الغدير وعاشوراء، تنظيمًا تحتفل به الدولة رسميا ولكن المؤكد أن تشيعهم هذا لم يكن هو المهيمن على فكرهم وسياستهم، بل كان الملك ومصلحة السياسة وراء ذلك ، فقد كانوا قبل هذا يحكمون جزءًا كبيرًا من فارس ولم تكن فارس يومها شيعة، فلم يحرصوا على تشيعهم أو إقامة الأعياد و المناسبات الخاصة بالشيعة، فقد كانت فارس مستقرة لهم، بفضل العصبية القومية التي كانت حاضرة لهم هناك – فهم بين قبيلتهم من الديلم– وغائبة عنهم في العراق ، فلم يجدوا بدا من توجيه أنظارهم إلى ناحية الشيعة لجذبهم من أجل كسب الشرعية السياسية من منهم .

2 دراسة أنثربولوجية للطقوس الشيعية في عاشوراء :

حدد عالم الإجتماع الفرنسي إميل دوركهايم مجموعة من الخصائص الأساسية لأي ظاهرة من الظواهر الإجتماعية ، بما فيها الظواهر الدينية التي غالبا ما تمارس على شكل طقوس ، أو ما يمكن أن نعتبره ظاهرة إذا ما تميزت بهذه الخصائص ، فكان منها الفاعلية و الديمومة ، فتشير الأولى إلى تأثيرها في أكبر قدر ممكن من جوانب الحياة الإجتماعية المختلفة بوضوح بارز ، في حين تشير الثانية إلى تمسك الجماعة بها لأنها ترتبط بالهوية الدينية التي تحتل من الأهمية ما لايمكن تجاهله أو التغاضي عنه (الأبيض، 2017 ، ص 7) وهذا ما امتازت به طقوس عاشوراء فهي كانت تؤثر على جمهور عريض من الشيعة في حين أنها كانت تتكرر في العاشر محرم من كل عام .

وقد ركز الباحثون في انثروبولوجيا الاديان على نقطة جوهرية في الطقوس الدينية وهي أن من المميزات الخاصّة التي تعطي للطقس ميزته أنّه يتمّ وفق ثلاثة نقاط هي ؛ التقعيد بحيث يخضع الطقس لقواعد منتظمة متعارف عليها لدى أفراد الجماعة و التكرار حيث يعاد إنجاز الطقس في مناسبات تتكرر في أوقات مضبوطة من حياة الجماعة، وحسب تكرار زمني مضبوط. الشحنة الرمزيّة التي تحملها ممارسة الطقس، ممّا يعطي الممارسات دفقها وفعاليتها الرمزيّة الخاصّة (المحواشي، 2010 ، ص 17) وكل هذه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

النقاط تنطق على الطقوس الشيعية في يوم عاشوراء ، فمن ناحية التقعيد نجد أن الطقس يخضع فعلا لقواعد منتظمة و متعارف عليها داخل الإطار الشيعي أما من ناحية التكرار فمرة كل سنة ، في حين نجد الشحنة الرمزية لها دلالة واضحة لما حدث في كربلاء .

لقد كان يوم عاشوراء يوما خاصا بالشيعة منذ مقتل الحسين فالمتتبع لأنثبرولوجية هذا اليوم يجده قد بدأ أول الأمر مع حركة التوابيين التي قادها المختار بن يوسف الثقفي ورفع شعار "يا لثارات الحسين"

و من ثم فقد كان أول من أقام احتفالا تأبينيا في داره في الكوفة بمناسبة يوم عاشوراء ، وقد أرسل بعض النادبات إلى شوارع الكوفة للندب على الحسين (الحيدري، 1999 ، ص 51) وبمرور الزمن تحول هذا اليوم إلى تراجيديا خاصة بالشيعة تستذكر فيه مقتل الحسين كل عام ولكنه كان حكرا على الشيعة فقط فلم تتبناه الدولة كيوم رسمي إلا بعد مجيء البويهيين الذين استغلوه لصالحهم وجعلوه يوما رسميا تقام فيه الإحتفالات والمواكب . وظلت هذه الطقوس حتى وقتنا الحالي لكنها أخذت في التطور من عصر إلى عصر حتى أصبحت ما نراه يحدث اليوم كل سنة في يوم عاشوراء عند الشيعة . و تظهر التجليات الانثروبولوجية للطقوس الشيعية في يوم عاشوراء من خلال العزاء الحسيني –وهو مصطلح ظهر في أدبيات العصر الحديث فقط – ، عبر رصد اهم التجليات الخاصة بهذا اليوم و التي تحولت بحكم التراكم الزمني الى سلوكيات طقسية يمكن رصدها وتحديد سماتها العامة (الطائي، 2018)، وأهم هذه التجليات تتمثل فيما يلي :

أ– المواكب : تقام في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم كل عام في المناطق التي يسكنها الشيعة في العراق ، والمواكب مفردها موكب وتعني هنا جماعات من الناس تشكل مسيرة أو تظاهرة دينية و إجتماعية فولكلورية ، ويجمعهم هدف واحد مشترك هو إظهار الولاء للإمام الحسين وأهل بيته ومواساتهم لهم في ذكرى استشهاده الأليمة بشكل شعبي ، مثلما يعني الموكب المكان الذي يجتمع فيه المحتفلون لتحضير شعائرهم وطقوسهم الدينية ، وفق تقاليد و عادات فولكلورية (الحيدري، 1999 ،ص 103). كما يعتبر البويهيون أول من استحدث المواكب ، أي الخروج إلى الشوارع جمعا على شكل مسيرات عزاء ، حيث يخرج الناس حاسري الرؤوس ، حفاة الأقدام ، تحيتهم التعزية و المواساة بمأساة الحسين ومرددين شعار " يالثرات الحسين " (الشهرستاني ا.، 2003 ، ص 149) . وقد وجدت المواكب قبل العصر البويهي ، إلا أن سلاطين بني بويه أعطوها صبغة رسمية إبان حكمهم للعراق .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ب- طقوس إيذاء الجسد : طقوس إيذاء الجسد من الطقوس الدينية القديمة ،التي يعتقد علماء الانثروبولوجيا ان لها دورا في عملية التطهر وما يستتبعها من الوصول الى الخلاص الروحي عن طريق الا لم فيجدر بالذكر إلى أن هذه المواكب قد رافقتها بعض الطقوس الغريبة عن المسلمين و البعيدة كل البعد عن الإسلام ، بل إن الاسلام منها بريء ومن بينها اللطم كلطم الصدور والوجوه والظهر ، وقد بدأ اللطم بشكل جماعي في المواكب خلال العصر البويهي ، قبل أن يتطور في العهد الصفوي إلى استخدام الزنجيل أي السلاسل (الحسن، 2014 ص 446) ، ويتكون الزنجيل من مجموعة من السلاسل الحديدية الصغيرة المربوطة من الأسفل بمقبض خشبي أو حديدي يضرب بها على الظهر و الكتفين ، ولقد قام أحد الباحثين بدراسة أنثربولوجية ميدانية لهذه الطقوس في مدينة الكاظمية بالعراق عام 1967م فوجد سبعة مواكب يتكون كل واحد منها من ثلاث إلى أربع مجموعات وتتألف كل مجموعة من حوالي مائة شخص تقريبا ، وتعود إلى مواكب المحلات الرئيسية الكبرى لمدينة الكاظمية بالعراق (الحيدري، 1999 ، ص 112). ويعتبر هذا النوع من المواكب هو الأكثر انتشاراً وطريقة المواكب في العراق على سبيل المثال تسمى بالدائرات حيث ينطلق أصحاب العزاء من تجمعاتهم في الحسينيات متجهين عادة إلى الأماكن المقدسة كالعتبات المقدسة أو من حسينية إلى حسينية وهم يرددون بعض القصائد او الأشعار في قالب مختصر، وعادة ما تقرأ أبيات قليلة مشتركة ببعض الأشطار المقفولة، وهم يعزوون بعضهم البعض. والحسينيات التي تستقبل هذه المواكب أيضاً ترحب بالمواكب المقبلة إليها بأشعار تناسب المصيبة وتناسبهم، هذا والناس يشتركون معهم باللطم (الطائي، 2018) .

ج- التشابيه أو المسرح الحسيني : يقوم المشاركون في طقوس يوم عاشوراء بعمل تمثيلة يجسدون فيها واقعة كربلاء وكيف قتل الحسين بن علي مع أهل بيته ، وتمتد جذور هذه التشابيه إلى العصر البويهي أيضا فقد لوحظ في تلك الإحتفالات نماذج أولية لذلك التمثيل ومثالا على ذلك قيام بعض الأطفال والرجال بتمثيل إستجداء الماء ، و تسويد الخيام (أي طلاءها باللون الأسود) الأمر الذي يشير إلى بدايات هذا اللون من الطقوس الشيعية ، وقد حظيت هذه التشابيه باهتمام كبير في العهد الصفوي (الحسن، 2014 ص 446)،وتبدأ التشابيه غالبا بعد انتهاء مواكب العزاء من أداء مراسيمها حيث تنصب بعض المسارح الشعبية التي بنيت من الخشب فالمسرح بسيط في بناءه وتركيبه مكشوف من الأمام ومن الفوق من غير

كواليس ولاديكورات ولاإضاءة أوستار غير أن له سلما خشبيا لصعود الممثلين الهواة ليبدأوا في تمثيل مقتل الحسين من البداية إلى النهاية في مشهد تراجيدي يحكي يوم كربلاء (الحيدري، 1999 ، ص 122).

د- قراءة التعزية الحسينية : يشير حمزة الحسن بأن ما يعرف اليوم ب(الحسينيات – المآتم) وجدت في العهد البويهي ، وإن طريقة الخطابة أو القراءة الحسينية تستمد جذورها من ذلك العهد (الحسن، 2014 ، ص 447)، وبمرور الزمن تطورت القراءات الحسينية فخلال مسيرة العزاء الحسيني تقوم كل مجموعة بترديد مقطع من مقاطع قصيدة شعبية تنشدها الجموعات في مسيرتها واحدة بعد الأخرى ، وكانت مضامين هذه القصائد في الأغلب مدح و رثاء لمناقب النبي صلى الله عليه وسلم و أهل البيت ، وحينما تصل الميسرة إلى مقصدها يقف الرادود وهو النائح في وسط حلقة دائرية كبيرة على منبر خشبي ملبدا بالسواد منشدا مرثية شعبية بصوت شجي ، ويلعب الرادود الجيد ذو الصوت الجهوري الشجي دورا مهما في تحريك عواطف المشاركين في اللطم وإثارة أحزانهم (الحيدري، 1999 ، ص 108) .

هـ- قراءة المقتل الحسيني: وهو طقس قريب من قراءة التعزية الحسينية لكنه يختلف عنها قليلا ، فقراءة المقتل الحسيني تعتبر شعيرة من الشعائر الحسينية التي يمارسها الشيعة في يوم العاشر من محرم فقط . اذ تتم القراءة صباحا حتى الظهر كالعادة، وذلك عبر قراءة الروايات الواردة في هذا المجال خاصة قراءة كتاب مقتل الحسين بن علي برواية أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي – والواقع أن هذا الإخباري متروك مقدوح عند علماء الجرح والتعديل من أهل السنة – ، ولكن في الآونة الأخيرة عدلت قراءة هذا الكتاب إلى مقاتل أخرى وملخصة، وربما كان اشهر قراء المقتل الحسيني في العراق الشيخ عبد الزهرة الكعبي، الذي ظلت طريقته تقلد في قراءة المقتل الحسيني حتى اليوم (الطائي، 2018) والجدير بالذكر أن هذا الطقس لم يكن له ذكر خلال العصر البويهي .

و- التطبير : هو جرح الرؤوس الحليقة بالقامات بضربات ليست عميقة ، وهي طقوس شعبية تعبر بحسب رأيهم عن المشاركة في إيذاء النفس والجسد مواساة للحسين بن علي الذي قتل مثخنا بالجراح في كربلاء، أما القامات و مفردها قامة فهي سيوف مستقيمة ، حادة الجانبين ، تشبه السيوف الرومانية القديمة، وتبدأ عملية التطبير فعليا في صبيحة يوم عاشوراء ، ولا يتفق جموع الشيعة على ذلك فمنهم من يعتقدون أن هذه الطقوس بدعة غريبة عن الإسلام ولا تجوز ممارستها ، ويتشكل كل موكب من مواكب التطبير من مجموعة أو عدة مجموعات من المطبرين الذين يتراوح عددهم بين مائة و مائتي شخص،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويكون بينهم أطفال صغار يرتدون أكفانا بيضاء برفقة أهاليهم وهو حليقوا الرؤوس وقد مسحت رؤوسهم بالدماء أو جرحت بجروح خفيفة ، وتعود هذه العادة إلى أن بعض النساء العاقرات اللواتي لا ينجبن أطفالا أو اللواتي لا ينجبن أولادا ذكورا على وجه الخصوص ، ينذرن عند مشهد الحسين إن أنجبن أولادا ذكورا يقومون بإرسالهم للمشاركة في مواكب التطبير و لو بشكل رمزي (الابيض، 2017 ، ص 193). والواقع أن التطبير لم يكن أثناء العصر البويهي بل جاء بعد ذلك بكثير نتيجة للتطورات التي حصلت للطقوس الشيعية في يوم عاشوراء . ز – المأكولات الطقسية في عاشوراء : اعتاد الشيعة في عاشوراء على تقديم الأطعمة تختلف قيمتها حسب الأوضاع الإقتصادية ، وحسب مساهمة الناس في دفع تكاليفها ، إما تبرعا و صدقة ، وإما على شكل نذور تقدم في المناسبات ، ولقد اختلفت المأكولات الطقسية في عاشوراء باختلاف عادات و تقاليد كل منطقة ففي العراق مثلا كان يقدم طبق الأرز مع المرق أما في البحرين فيقدم في عاشوراء عيش الحسين وهو أرز باللحم ومثله في السعودية يقدم الشيعة اللحم مع الأرز ، وفي إيران يقدم الأساس (الآش) وهي أكلة شعبية رخيصة تقوم على البقوليات (الحسن، 2014 ، ص 159)، أما في الأناضول فيتم توزيع الهريسة في يوم عاشوراء ، والهريسة هي خليط من الحنطة والباقلاء و الجوز واللوز والزبيب والسكر (الحيدري، 1999 ، ص 150) ومن ثم تحول هذا الامر الى جزء من فضاء الطقس الانثروبولوجي، حيث تمثل الوجبة الطقسية سلوكا جمعيا معروفا في ثقافات العالم المختلفة يلعب دورا مهما في تماسك الجماعات وخلق هويتها المميزة (الطائي، 2018).

ويعلق أحد الباحثين في طقوس عاشوراء بأن ما يحدث الآن بعضه امتداد لما كان يحدث في العصر البويهي و بعضه الآخر مستورد من ثقافات أخرى ، وبالتالي فطقس الزنجيل و التطبير و التشابيه كلها ممارسات مستوردة من الخارج ، فمنها مسيحية أو يهودية أو هندية فحتى وإن كان جوهر تلك الممارسات للحسين إلا أن شكلها هو طقس دخل العراق عن طريق الترك أو الصفويين ، كما كان للإحتلال الانجيليزي دور في نقل التطبير إلى العراق عبر شيعة الهند (الأبيض، 2017 ، ص 30).

على أن تجمعات إسلامية عديدة تحتفل بعاشوراء وتوزع بعض المأكولات بالمناسبة ، وإذا كان الإحتفال بيوم عاشوراء يتخذ طابع الحزن لدى الشيعة ، فإنه على العكس من ذلك يتخذ طابع الفرح لدى بعض أهل السنة كما في شمال إفريقيا (تونس والجزائر و المغرب) وتقدم بالمناسبة أطعمة تقليدية متشابهة إلى حد ما ، والواقع أن أهل السنة لا يحتفلون فرحا بمقتل الحسين وإنما يحتفلون بيوم عاشوراء لأنه اليوم الذي

نصر الله فيه نبيه موسى عليه السلام ، وعندما وجد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود في المدينة يصومونه سألهم عن سبب ذلك فردوا عليه بأنه اليوم الذي نصر الله فيه موسى من فرعون فقرر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصوم التاسع والعاشر من محرم مخالفة لليهود ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : (قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه و أمر بصيامه) ، وعلى هذا الأساس يصوم أهل السنة يوم عاشوراء في جو إحتفالي بهيج (الرشيد، 2012،ص 126). ولا عجب أن مقتل الحسين بن علي في يوم عاشوراء قد أحزن المسلمين قاطبة ، و لكن ثقافة تخليد الحزن كل عام ظلت لاصقة بالفكر الشيعي وحده على خلاف أهل السنة الذين اعتبروا مقتله خسارة للأمة دون جعل يوم وفاته حدادا عام للمسلمين ، وعلى هذا اختلف الشيعة و السنة حول يوم عاشوراء بين حزين مكسور وبين فرح مسرور .

خاتمة :

في خاتمة هذا البحث نستنتج أن القوى السياسية استغلت الموروث الثقافي للطوائف الإسلامية في تثبيت ركائز الحكم وعلى هذا تبنى البويهيون في مجملهم سياسة طائفية جعلت من خلالها الطقوس الشيعية إحدى أهم أولوياتها فرسّمت يوم عاشوراء يوما رسميا تحتفل به السلطة السياسة بعد أن كان مجرد عيد خاص بالشيعة دون غيرهم من رعايا الخلافة العباسية من السنة وما أكثرهم حينئذ ، وهذا ما أدى إلى صراع حقيقي بين أبناء البلد الواحد و ذلك لما يجري في من مشاحنات واسفتزاز بين الفريقين كان كلاهما في غنى عنه .

والواقع أن مثل هذه السياسة الطائفية التي مارسها بني بويه كان في العراق فقط لتثبيت ركائز الحكم لأنهم كانوا من الفرس الشيعة فلما لم تجمعهم عصبية العرق في بغداد راحوا يبحثون عن عصبية المذهب ، وما يثبت هذا القول أنهم لم يرسموا مثل هذه الأعياد في فارس التي وجدوا فيها عصبية العرق التي لم يجدوها أثناء حكمهم للعراق . وقد استغل البويهيون فرصة عاشوراء لحشد أنصارهم وكسب شرعية سياسية لهم ، وعلى هذا لم تكن المواكب والطقوس في عاشوراء دينية فحسب بل سياسية أيضا فقد رد روح الله الخميني زعيم الثوة الإيرانية حينما سألوه حول أهمية الطقوس في يوم عاشوراء قائلا بأنها مكسب سياسي و ديني معا فقد كان يوما لحشد الأنصار واستعراض القوة الشعبية للجماعة الشيعية . أما العالم

مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص509-529

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الإسلامي في شقه السني فقد كان يوم عاشوراء يوما دينيا يفرح به المسلمون لان الله نصر فيه نبيه موسى و تجد كثير منهم يصومونه اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فالذاكرة السنية ليوم عاشوراء بعيدة كل البعد عن الذاكرة الشيعية . وهذا لا يعكس بأي حال من الأحوال أن أهل السنة قد رضوا بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنه و أرضاه ، بل على العكس تماما فأهل السنة على اختلاف مذاهبهم تقر بأفضلية الحسين بن علي على يزيد بن معاوية ، و بأنه قتل مظلوما في سبيل قضية عادلة و هي تطبيق مبدأ الشورى بين المسلمين ، إلا أنه من غير المعقول أيضا أن يظل الحزن قابعا في النفوس لمدة أربعة عشر قرنا من الزمان على حادثة قد ولى زمانها و أفل رجالها ، على عكس الشيعة الذي خلدوا هذا الحدث و خلدوا معه ثقافة الحزن على مقتل الحسين التي أخذوا يتوارثونها جيلا بعد جيل ، الأمر الذي أدى إلى تطور هذه المناسبة من حزن بسيط في النفوس إلى ثقافة حزن لها طقوسها الخاصة التي أصبحت تستغل من طرف السياسيين في التعبئة الشعبية و حشد الأنصار . ومن خلال الدراسة الأنثربولوجية للطقوس الشيعية في يوم عاشوراء نجد أن معظم هذه الطقوس التي تمارس عند الشيعة اليوم يمتد معظمها إلى العصر البويهي ، فهم الذي ابتدعوا هذه الطقوس التي بقيت حتى وقتنا المعاصر .

قائمة المراجع: ت†تتبع

1. ابراهيم الحيدري ، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي،دار الساقي ، لبنان ، 1999
2. ابن الجوزي (عبد الرحمان بن علي ت597هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1992 .
3. ابن العماد (أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد ت1089هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، لبنان ، 1989 .
4. ابن الوردي (عمر بن المظفر ت 749هـ)،تاريخ ابن الوردي ،دارالكتب العلمية،لبنان ، 1996.
5. ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد ت 808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر ، لبنان ، 2000 .
6. ابن دريد (أبي بكر محمد بن الحسن ت 321 هـ) ، جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1986 .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

7. ابن طباطبا (محمد بن علي ت 709 ه) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، د ت ن .

8. ابن كثير(أبي الفدا اسماعيل بن عمر ت 774ه) ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، مصر ، 1998 .

9. أبو المحاسن (يوسف ابن تغرى بردي ت 874ه) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة ، مصر ، 1963.

10. الأزهري (أبي منصور محمد بن أحمد ت 370ه) ، تهذيب اللغة ، تحقيق : عبد الحليم النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، 1964 .

11. البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت429ه/1037م) ، الفرق بين الفرق ، تعليق : إبراهيم رمضان ، ط2 ، دار المعرفة ، لبنان ، 1997 .

12. حمد السنان و فوزي العنجري ، أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة و أدلتهم ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، د م ن ، د ت ن .

13. حمزة الحسن ، طقوس التشيع الهوية والسياسة ، مؤسسة الانتشار العربي ، لبنان ، 2014 .

14. حورية سلام ، الحياة الإجتماعية في العراق زمن البويهيين ،دار العالم العربي ،مصر ، 2008 .

15. الزبيدي ، تاج العروس ، مادة شاع ، تحقيق : عبد العليم الطحاوي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، 1984 .

16. السيد صالح الشهرستاني ، تاريخ النياحة ، تحقيق : نبيل رضا علون ، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، ايران ، 2003 .

17. السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان ت 911ه) ، تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم ، لبنان ، 2003 .

18. شريف يحي الأمين ، معجم الفرق الإسلامية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1986 .

19. الشهرستاني (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم ت548ه) ، الملل والنحل ، ط6 ، تحقيق : أمير علي مهنا وعلي حسن فاعود ، دار المعرفة ، لبنان ، 1997 .

20. صادق الطائي ، عاشوراء أنثربولوجيا ، مؤسسة الحوار الإنساني ، لندن ، 2018 .

21. الطبري (محمد بن جرير ت310ه) ، تاريخ الرسل و الملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1967 .

22. عبد الله بن عبد الرحمان الرشيد ، عاشوراء عند الإمامية الإثني عشرية وآثارها عرض و نقد ، أطروحة دكتوراه ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2012.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

23. عبد المجيد أبو الفتوح بدوي ، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد ، ط2 ، دار الوفاء ، مصر 1988.
24. القيرواني (أبي محمد عبد الله بن أبي زيد ت 387هـ) الرسالة الفقهية ، تحقيق : الهادي حمّو ومحمد أبو الأجفان ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1980.
25. مجموعة مؤلفين ، الموسوعة الفقهية ، دار الصفوة ، الكويت ، 1992 .
26. محمد أبو زهرة ، ابن تيمية حياته و عصره آراءه و فقهه ،دار الفكر العربي ،القاهرة ، 1991
27. محمد بن المختار الشنقيطي ، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، لبنان ، 2016 .
28. محمد جواد مغنية ، الشيعة والحاكمون ، دار مكتبة الهلال ، لبنان ، 2000 .
29. مسكوية (أحمد بن محمد ت 421هـ) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2003 .
30. المفيد (محمد بن محمد البغدادي ت 413هـ) ، أوائل المقالات، دار مهر ، د م ن ،1996
31. منصف المحواشي ، الطقوس وجبروت الرموز قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل ، مجلة إنسانيات ، الجزائر ، العدد 49 ، 2010 .
32. مهتدي الأبيض ، اجتماعية التدين الشعبي –دراسة تأويلية للطقوس العاشورائية – ، دار الرافدين ، لبنان ، 2017 .
33. موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الشارقة ، 1998.
34. ناصر بن عبد الله القفاري ، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية عرض ونقد ، أطروحة دكتوراه ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
35. النوبختي (الحسن بن موسى ق3هـ) ، فرق الشيعة ، منشورات الرضا ، لبنان ، 2012.

34 -A.S. Tritton , Islam , Hutchinson University Library , London , 1968